

شجرة طوبى

[191] فقل: هو ذا فسلم ثم قال: يا أمير المؤمنين إني أتيتك من ناحية الشام وأنا شيخ كبير قد سمعت فيك من الفضل ما لا يحصى، وأني أظنك ستغتنال فعلمني مما علمك الله. قال: نعم يا شيخ من أعتدل يوماه فهو مغبون، ومن كانت الدنيا همته أشدت حسرته عند فراقها، ومن غده شر يوميه فمحروم، ومن لم يبال بما رزئ من آخرته إذا أسلمت له دنياه فهو هالك، ومن لم يتعاهد النقص من نفسه غلب عليه الهوى، ومن كان في نقص فالموت خير له، يا شيخ إن الدنيا خضرة حلوة ولها أهل، وإن الآخرة لها أهل عرفت أنفسهم عن مفاخرة أهل الدنيا لا يتنافسون في الدنيا ولا يفرحون بغضارتها ولا يحزنون لبؤسها يا شيخ من خاف البيات قل لومه، وما أسرع الليالي والأيام في عمر العبد، فأخزن لسانك، وعد كلامك، يقل كلامك إلا بخير، يا شيخ أرض للناس ما ترضى لنفسك، وآت إلى الناس ما تحب أن يؤتى اليك. ثم أقبل على أصحابه فقال: أيها الناس أما ترون إلى أهل الدنيا يمسون ويصبحون على أحوال شتى فبين صريع يتلوى وبين عابد ومعود، وآخر بنفسه يجود وآخر لا يرجى وآخر مسجى، وطالب الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه وعلى أثر الماضي يصير الباقي. فقال له زيد بن صوحان العبدي: يا أمير المؤمنين أي سلطان أغلب وأقوى؟ قال: الهوى قال فأى ذل أذل قال الحرص على الدنيا قال: فأى فقر أشد؟ قال: الكفر بعد الإيمان قال: فأى دعوة أضل؟ قال الداعي بما لا يكون قال: فأى عمل أفضل؟ قال التقوى. قال: فأى عمل انجح؟ قال: طلب ما عند الله. قال: فأى صاحب شر؟ قال: المزين لك معصية الله. قال: فأى الخلق أشقى؟ قال من باع دينه بدنيا غيره. قال: فأى الخلق أقوى؟ قال الحليم. قال: فأى الخلق أشح؟ قال: من أخذ من المال من غير حله فجعله في غير حقه. قال: فأى الناس أكيس؟ قال من أبصر رشده من غيه فمال إلى رشده. قال: فمن أحلم الناس؟ قال: الذي لا يغضب قال: فأى الناس أثبت رأيا؟ قال: من لم يغره الناس من نفسه ولم تغره الدنيا بتشوقها قال فأى الخلق أحمق؟ قال: المغتر بالدنيا وهو يرى بما فيها من تقلب أحوالها قال: فأى الناس أشد حسرة قال الذي حرم الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين قال: فأى الخلق أعمى؟ قال: الذي عمل لغير الله يطلب بعمله الثواب من عند الله عز وجل، قال: فأى القنوع أفضل؟ قال القانع بما أعطاه الله. قال: فأى المصائب أشد؟ قال: المصيبة